مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد الثامن
1991 م.

أرداف

الدكتور سالم مرشان
جامعة الانتفاضة - الخمس

الإرْداف مصدر للفعل أردف، والاسم منه الرِّدف بكسر الراء، وهو في الأصل الرّاكب خلف الراكب كالمردوف والرديف. وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الرّادف، والجمع الرّدافى.

ويقال: ردفته وأردفته بمعنى واحد، وردفت الرجل وأردفته إذا ركبت خلفه وأردفته أركبته خلفي.

وأنشد خزيمة بن مالك:

إذا الجوزاء أردفت الثريّا ظننت بآل فاطمة الظنونا[1]

والرّادفة: الاسم من أردف الملوك في الجاهلية.

والرِّدافة: أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، وإذا غزا الملك مكث الردف مكانه، وكان خليفته على الناس. وكانت الردافة في الجاهلية لبني يربوع، لأنه لم يكن في العرب أحد أكثر غارة على ملوك الحيرة من بني يربوع، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة، ويكفوا عن أهل العراق الغارة[2].

يقول جرير - وهو من بني يربوع: -

(1) تهذيب اللغة، الأزهري، جـ 14 ص 97/96.
(2) الصحاح، الجوهري، جـ 4 ص 64/1363.

ربعنـا ورادفنـا الملوك فـظلوا وطاب الأحاليب الثمام المنزعـا

فأرداف الملوك في الجاهلية هم الذين يخلفـونهم في القيام بـأمر المملكـة، وتصـريف أمور النـاس، وهم الأشراف ووجهـاء القوم، وكـان الملك يـردف خلفـه رجلاً شريفاً، وكانوا يركبون الإبل، ووجه النبي ﷺ معاوية مع وائل بن حجر رسولاً في حاجة له، ووائل على نجيب له فقال معـاوية: أردفني، فقـال: لست من أردف الملوك[3].

قـال الفراء: يتبـع أولهم آخرهم في الشـرف، تقول: يتبـع البنون الآبـاء في الشـرف. والردف في الشعـر حرف سـاكن من حروف المـد واللين يقع قبـل حرف الرويّ ليس بينهما شيء.

وفي البـلاغة العـربية الأرداف والتـوابع هـو أن يريـد المتكلم الـدلالـة على معنى، فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه وتـابع لـه، ومثالـه من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فيهنّ قاصرات الطّرف﴾[4].

فقصور الطّرف في الأصل موضع للعفاف على جهة الأرداف والتوابع، وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها على زوجها، فكان قصـور الطرف ردفـاً للعفاف، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف.

ومن الأرداف قول رسول الله ﷺ وقد سئل عن الضرع فقال: «حق وأن تتركه حتى يكـون ابن مخاض، أو ابن لبـون خير من أن تكفيء إنـاءَك، وقولـه نـاقتـك، وتدعه يلصـق لحمه بوبره».

والفرع هو أول شيء تنتجه الناقة، وكانوا يذبحـونه لله عـز وجل، فقـال: هو حق، إلا أنـه ينبغي أن يترك حتى يكـون ابن مخاض، أو ابن لبـون فيصيـر للحمـه طعم، وقال: «هو خير من أن تكفيء إناءك» فهذه من الأرداف، أرد أنك إذا نحـرته حين تضعه أمه بقيت الأم بلا ولد ترضعه فانقطع لبنهـا، فردف ذلـك أن يخلو اناؤك

(3) تهذيب اللغة، الأزهري، جـ 14 ص 98.

(4) سورة الرحمن: الآية، 55.

من اللبن، فكأنك قد كفأته[5].

ومن الأرداف أيضاً قول الشاعر:

ومـهمـا فـيّ من عـيب فـإنـي جبـان الكلب مهـزول الفصيـل

يعني أن كلبه يضرب إذا نبح على الأضياف، فيـردف ذلك جبنـه عن نبحهم وأن اللبن الذي يسمن بـه الفصيل يجعل للأضياف، فيردف ذلك هزال الفصيل.

وكقول الشاعر كذلك:

وكـل أناس سـوف تدخـل بينهم دويهيـة تصفـر منهـا الأنـامـل

يعني المـوت، فعبر عنـه باصفـرار الأنامـل، لأنها تصفـر من الموت، فكـان إصفرارها ردفاً.

ومن الردف أيضاً قول الشاعر:

طويل نجـاد السيف لا متضائـل ولا رهـل لـبـاتـه وبـآدلـه

ومعنى كلمة: «رهل» في البيت كما في تهذيب اللغة للأزهري[6] «الرهل شبه ورم ليست من داء، ولكن رخـاوة من سمن، وهو إلى الضعف، تقـول فـرس رهـل الصدر».

والبآدل جمع بـأدلة، وهي مـا بين العنق والترقـوة. والشاعـر هنا أراد وصفـه بطول القامة، فـذكر طول نجاده، لأن طوله ردف لطول القامة.

---

(5) كتاب الصناعتين العسكري تحقيق: علي محمد البجاوي وزميله ص 350.

(6) جـ 6 ص 272.